هوامش

تتوسع مكبات نفايات عشوائية في قلب صحراء أتاكامي، شمالي تشيلي، إذ تنتشر فيها مخلفات الملابس والأحذية المستعملة، على وقع الوتيرة المتسارعة لصناعات الموضة

التفكك الكيميائي للملابس قد يستغرق عقوداً وسيلوث الهواء والمياه الجوفية (Getty)

صحراء أتاكامي التشيلية

مقبرة الملابس المستعملة في العالم

في قلب صحراء أتاكامي شماليّ تشيلي، تتوسع مكبات نفايات عشوائية تنتشر فيها مخلفات الملابس والأحذية المستعملة، على وقع الوتيرة المتسارعة لصناعات الموضة يسيرة التكلفة المعدة للتصدير العالمي.

وقد تخصص البلد الأميركي الجنوبي في العقود الأربعة الماضية في تجارة الملابس المستعملة، سواء تلك المرمية من المستهلكين أو الأزياء التي تستغني عنها الشركات المصنّعة أو تلك المقدمة في إطار مبادرات خيرية من الولايات المتحدة وكندا وأوروبا وآسيا.

وفي كلّ عام، يصل 59 ألف طن من الملابس إلى المنطقة الحرة في ميناء إيكويكي على بعد 1800 كيلومتر شمال سانتياغو. وفي هذه المنطقة التجارية التي تقدّم رسوماً جمركية تفضيلية، تُفرز القطع المستعملة ثم يعاد بيعها في متاجر مخصصة لهذا النوع من الملابس في تشيلي أو تُصدّر إلى بلدان أميركية لاتينية أخرى. ويوضح العامل السابق في منطقة الاستيراد في المرفأ أليكس كارينيو أنّ «هذه الملابس تأتي من العالم أجمع».

لكن بمواجهة ازدياد كمية الملابس المنتجة بأسعار بخسة في آسيا لحساب علامات تجارية قادرة على إصدار حوالى خمسين مجموعة جديدة سنوياً، تتكدس كميات كبيرة من الملابس المستعملة بسرعة كبيرة. وتكوّم حوالى 39 ألف طن من النفايات في مكبات غير مستوفية للشروط البيئية في ألتو هوسبيسيو بضاحية إيكويكي. يعلّق أليكس كارينيو المقيم قرب مكب للنفايات: «ما لم يُبع في سانتياغو أو لم يُهرّب إلى بلدان أخرى» مثل بوليفيا والبيرو والباراغواي «يبقى هنا» لأنّ إخراج هذه البضائع من المنطقة الحرة ليس مربحاً.

ويوضح فرانكلين زيبيدا، الذي أسس أخيراً شركة «إيكو فيبرا» لإعادة التدوير في مسعى لمواجهة هذه الأزمة المتنامية، أنّ «المشكلة تكمن في أنّ هذه الملابس ليست قابلة للتحلل عضوياً وتحوي مواد كيميائية، ولا يمكن القبول بها تالياً في مكبات النفايات التابعة للبلدية». بين أكوام الملابس يمكن رؤية علم أميركي وسراويل لا تزال تحمل ملصقات تعريفية وقمصان بألوان عيد الميلاد.

وتغوص امرأة لم ترد الكشف عن اسمها، حتى وسطها بين أكوام المخلفات في محاولة لإيجاد ملابس بأفضل حال ممكنة أملاً بإعادة بيعها في حيّها في ألتو هوسبيسيو. ويستغل سكان مقيمون في الجوار الوضع لطلب مبالغ تراوح بين ستة دولارات و12 دولاراً للحصول على ثلاثة سراويل. وتقول المرأة: «هذا ليس بمشكلة، فأنا أبيعها وأكسب بعض المال». وفي مكان أبعد، تأمل مهاجرتان فنزويليتان عبرتا أخيراً الحدود إلى شمال تشيلي، في إيجاد ملابس تقيهما البرد، في ظل التدني الكبير في درجات الحرارة في المنطقة خلال الليل.

باختصار

تخصص البلد الأميركي الجنوبي في العقود الأربعة الماضية في تجارة الملابس المستعملة، سواء من المستهلكين أو من الشركات المصنّعة

■■■

في كلّ عام، يصل 59 ألف طن من الملابس إلى المنطقة الحرة في ميناء إيكويكي على بعد 1800 كيلومتر شمال سانتياغو

■■■

تكوّم حوالى 39 ألف طن من النفايات في مكبات غير مستوفية للشروط البيئية في ألتو هوسبيسيو

تلوث

كشفت دراسة نشرت نتائجها الأمم المتحدة سنة 2019 أنّ الإنتاج العالمي من الملابس الذي تضاعف بين العامين 2000 و2014 «مسؤول عن 20 في المائة من الهدر الإجمالي للمياه في العالم». وأظهر التقرير أنّ إنتاج الملابس والأحذية يولّد 8 في المائة من إجمالي انبعاثات غازات الدفيئة، وفي آخر السلسلة «في كلّ ثانية تُطمَر أو تُحرَق كمية من الأنسجة توازي سعة شاحنة نفايات». وفي ألتو هوسبيسيو، يُطمر عدد كبير من الملابس لتفادي الحرائق التي قد تؤدي إلى انبعاثات شديدة السمّية بسبب المواد المركّبة في أنسجة كثيرة. لكن، سواء كانت الملابس مطمورة أو متروكة في الهواء الطلق، من شأن تفككها الكيميائي الذي قد يستغرق عقوداً عدة أن يلوث الهواء والمياه الجوفية. وأعلنت الحكومة التشيلية أخيراً أن قطاع صناعة النسيج سيخضع قريباً لقانون «توسيع نطاق مسؤولية المنتج» من خلال إرغام الشركات المستوردة للملابس على معالجة بقايا الأنسجة وتسهيل إعادة تدويرها.

وفي الشركة التي أسسها في ألتو هوسبيسيو سنة 2018، يعالج فرانكلين زيبيدا، ما يصل إلى أربعين طناً من الملابس المستعملة شهرياً. وتُفصل الملابس التركيبية أو المصنوعة من البوليستر عن تلك المصنوعة من القطن قبل استخدامها في صنع ألواح عازلة في قطاع البناء. وبعدما سئم رؤية «جبال نفايات الملابس» إلى جانبه بعد عشر سنوات من العمل في المنطقة الحرة في إيكويكي، قرر زيبيدا «الخروج من المشكلة» ليكون «جزءاً من الحلّ».

(فرانس برس)

وأخيراً

بطولات أبو الخير نجيب

خطيب بدلة

كاتب هذه الأسطر مدين بالشكر للروائي المصري علاء الأسواني، لأنّه قدّم، ضمن واحدة من ندواته الأسبوعية، نبذةً عن الصحافي المخضرم أبو الخير نجيب (1913- 1983)، فنحن السوريين المهتمين بالشأن المصري عرفنا، خلال نصف قرن، مجموعةً لا بأس بها من الأسماء اللامعة (أو المُلَمَّعَة) في الصحافة المصرية، وبعضهم أقل شأناً من أبو الخير، ابتداء بمحمد حسنين هيكل، مروراً بصلاح عيسى، ومحمود السعدني، وإبراهيم عيسى، وصولاً إلى مصطفى بكري وعمرو أديب، ومع ذلك لم نسمع بهذا الصحافي المهم.

تنطبق على أبو الخير، في الحقيقة، المعايير العالمية للصحافي الحر، المخلص لعمله، وبلده، وشعبه، وقرّائه.. فحينما كان يعمل في صحيفة الأهرام، سنة 1946، ذهب لمقابلة رئيس الوزراء المستبد، الملقب بـ«جلاد الشعب» إسماعيل باشا صدقي، بناء على موعد مسبق، ولكن رئيس المكتب أخبره أن الباشا مشغول، ورجاه أن ينتظر، فانتظر، بصبر نافد، خمساً وأربعين دقيقة، وقف بعدها وقال لرئيس المكتب إنه لم يأت إلى هنا ليتوسّل الباشا، أو ينافقه، أو يتكسّب من ورائه، وإن واجبه يحتم عليه احترام الصحافة والصحافيين والشعب المصري.. ثم غادر إلى الصحيفة، وتقدّم باستقالته احتجاجاً على ما اعتبره إهانة له، وللصحافة المصرية، ولمؤسسة الأهرام. وكان رئيس التحرير يومذاك مصريا من أصل لبناني، اسمه أنطون الجميل باشا (1887- 1948). اجتمع مع مجلس الإدارة، وقرّروا «معاقبة» رئيس الوزراء بعدم ذكر اسمه، أو نشر صورته في أي خبر، حتى ولو كان هو صانع الخبر، فكانت الصحيفة تكتب، مثلاً، افتُتح في المدينة الفلانية مصنع للنسيج، حضر الافتتاح المسؤولون فلان وعلان وزيد وعمرو، من دون ذكر رئيس الوزارة. وتنشر الصحيفة خبراً آخر، أن سفير الدولة الفلانية زار مصر، واستقبله مسؤول مصري رفيع المستوى، مع أن الصحف الأخرى تتحدّث عن زيارة السفير رئيس الوزراء... وبقيت الأمور كذلك حتى حضر إسماعيل صدقي، الديكتاتور، شخصياً إلى مؤسسة الأهرام، واعتذر لأبو الخير وأنطون الجميل عن فعلته.

بعد سنتين؛ استغل أبو الخير حادثة عزل ملك رومانيا، ميكايل الأول، فكتب مقالة «التيجان الهاوية»، وفيها أن كل ملك لا يعرف حدود نفسه، ويقحم نفسه بغير اختصاصه، يفقد الحصانة، ويهوي، ويصبح رجلاً عادياً. ولم يكن نشرها ممكناً إلا بالحيلة، إذ قدّم للصحيفة مقالة عادية، استبدلها في آخر النهار بالمقالة المذكورة.. فاكتسب أبو الخير، منذئذ لقب «الصحفي المحتال»، واعتقل بأمر من الملك فاروق، وأحيل إلى القضاء الذي برّأه، وكانت حجّة القاضي أن المقالة عن الملوك بشكل عام، وملك رومانيا المعزول بشكل خاص، ولا ذكر فيها للملك فاروق أبداً. وعندما استمر اعتقاله، بناء على إصرار جماعة «مولانا» الملك، علم رئيس الوزراء محمود النقراشي باشا (1888- 1948) بالأمر، فقال عبارته: وهل القضاء المصري بتاع مولانا؟ واتصل برئيس الديوان الملكي إبراهيم عبد الهادي وقال له: قل لمولانا، إذا لم يتم الإفراج عن أبو الخير خلال 24 ساعة، أنا مستقيل.

> تنطبق على أبو الخير نجيب المعايير العالمية للصحافي الحرّ، المخلص لعمله، وبلده، وشعبه، وقرّائه

وكان من سوء حظ جمال عبد الناصر وضباطه الأحرار أنّ أبو الخير نجيب عاش الحرية، والكرامة، والاستقلالية، والدفاع عن الحريات العامة، واستقلالية القضاء، على زمن الإنكليز والملك... في شهر مارس/ آذار 1954، حصلت أزمة بين مجلس قيادة الثورة واللواء محمد نجيب، تتعلق بالسؤال عن الديمقراطية، وهل على الجيش أن يعود إلى ثكناته، وتعود البلاد إلى حكم المدنيين والمؤسسات الديمقراطية، أم يتابع الضباط الانقلابيون سيطرتهم على البلاد؟ انتصر العسكر بالطبع، وذهب نجيب إلى الإقامة الجبرية... وقتها كتب أبو الخير نجيب مقالة أودت به، وعنوانها «عشرة ملوك بدلاً من ملك»... وسجن على إثرها تسع عشرة سنة، حتى جاء أنور السادات، ولم يعفُ عنه، بل أطلق سراحه لأسباب صحية.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**